اللاشعور اللغوي والنفسي

The linguistic and psychological subconscious

أ.د. بوجمعة شتوان

جامعة تيزي وزو

Corresponding author: chetouane_bou@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2020/04/02 تاريخ النشر:2020/06/30

– ***ملخص :*** *يسعى هذا المقال إلى تقديم قراءة، عبر العلاقة القائمة بين Freud و Lacan، لحالات لغوية نفسية موغلة في التفرد والخصوصية والتي من بينها أساسا القولّ اللاكاني lacanien الذي سار مَسيرَ الأمثال المشهورة « لا وجود للغة الواصفة ».وهي البؤرة التي تبلورت داخلها تمفصلات إضافية مرتبطة بالشروط الخاصة بالخصائص المميزة للحلم :« الحلم كما هو في ذاته لحظة وقوعه في لحلم » ومميزاته السردية « الحلم عندما يُنتَج سردا »، الحلم باعتباره « هو في ذاته لحظة وقوعه في الحلم »، والتأكيد على أن البحث في هذه الخصائص المائزة ليس سوى مدخلا للتفكير في المفاهيم الحاملة ل : الكلمة، واللغة، واللغة الواصفة، واللسانيات الواصفة، والسيميائيات الواصفة، والتوليد اللفظي، والكتابة، والحم باعتباره نصا، والحلم باعتباره كتابة، والحلم باعتباره ترجمة للأفكار المخفية والباطنية، وإذا كانت الكتابة تمتلك القيمة نفسها التي تحظى بها الاستعارة والخطاب، فهل تصبح شكلنة علم النفس مسألة يمكن التفكير فيها ؟ وإذا كان بالإمكان القول بعدم وجود لغة واصفة، فهل يمكن للمحلل أن يبتكر لغته الخاصة؟*

الكلمات المفتاحية: *الكلام، الكتابة، اللغة، الذات، البنية، الحقيقة، الشكلنة، الابتكار، اللغة الواصفة، التوليد اللفظي، الحلم، اللاشعور.*

-Abstract: *This article seeks to analyse , through the relationship between the Freud and Lacan approaches , the specifities of the inner psycho-linguistic states that are deeply rooted in individualism according to the leading Lacanien aphorism : "There is no metalanguage" . This aphorism helps to explain the conditions related to different characteristics of dreams: the dream as it is and its following narration and the dream as it is reported the moment of its occurrence. In fact the research about the distinguishing features of dreams is nothing but an introduction to how some leading concepts such as ,language, metalanguage, metalinguistics, metasemiotics neologism, writing, dream as a text, dream as writing, dream as a translation of latent thoughts, are developed. Thus if writing has the same value as a metaphor, is a formalization of psychoanalysis conceivable? and if there is no metalanguage, can a researcher conceive his own language? Furthermore if it can be said that there is no descriptive language, can the analyst develop his own language?*

Key words: *Speech, writing, language, self, structure, truth, formalization, innovation, descriptive language, verbal generation, dream, subconscious.*

.

– **وضع الكلمة، الكلمة والأشياء:** يرى Freud, (1891) أن الأمر يتعلق هنا بالنظر إلى الكلمة من جهتين: على أنها« الوحدة القاعدية للوظيفة اللغوية، وهي بالتأكيد تمثيل معقد، مركب من عناصر سمعية وبصرية وحسية حركية»، وسيزيد Lacan, (1981) من

تعقيد خطاطة الأنساق «الموضعية» و« الافتراضية »، عبر تأكيد أن «الكلمات القاعدية » متواجدة في الروابط الكنائية ، والكناية استعارة فقيرة والتي بسببها تؤسّس الاستعارة ابتكارها الدلالي على الكناية. وهي في النتيجة سيرورة تدليلية في حاجة، إذن، إلى تحويل المقولات اللسانية المعتمدة في وصف الكلمات القاعدية. أما بالنسبة للذات المتكلمة، لا وجود لقطب نشط غير قابل للتحديد والتعيين في الأشكال الشفوية الثابتة. وبالتأكيد فإن السنن متواجدة في الآخر، أو الموقع الثالث أين يُنتج كل ما يمكن التلفظ به أو كتابته. وحسبه فإن الكلمات « أشياءً » وإذا أخذنا في الاعتبار الدور الحاسم للممارسة اللغوية ولنظرية اللغة في التحليل النفسي فإن هذه الكلمة ستبدو بالضرورة كما لو أنها نتيجة للأهمية التي يكتسيها مفهوم التمثل في مفْصلة اللاشعور والشعور، وما يترتب عنها من نتائج تبدو في شكل تمييزات بين تمثلات الكلمات وتمثلات الأشياء. ويشكل تمثل الكلمة النسق الأكثر تلاؤما مع الشعور أو ما قبل الشعور، إنها تشف عن الدلالات كالزجاج والبلّور، مع أنها وبشَكْل مُؤَكَّد أيضا من طبيعة بصرية ، وحسية حركية ، تستند في وجودها إلى الكتابة، كما أن وجودها مرتبط بارتكازها في ذلك على الصورة السمعية في ارتباطها بالموضوع المتمثل. إن الصوت الذي يشتغل داخل العلامة هو الأكثر تأهيلا لتحقيق الارتباط مع التمثلات اللاشعورية والظهور بوصفه علامة وعنوانا على تمثيل شيء آخر ينتمي إلى الأنساق القابلة للتجلي.

ومن هذا المنظور يميز Freud بين التمثلات والواقع، وعلى أساسِه اقترحَ على النفسانيين إيلاء أهمية خاصة للعلاقة الرابطة بين تمثلات الكلمات وتمثلات الأشياء، أما تمثلات الأشياء اللاشعورية، فهي في طبيعتها وحقيقتها مضطربة ومشوشة فوضوية، ومركّبة من عناصر بصرية وسمعية ولمسية وحسية حركية ..الخ. وتتجلى هذه العناصر في فرادتها كما في تفاعل بعضها مع البعض الآخر.

في اقتران بما سبق وربما نتيجة له، يصبح كل حديث عن التمثلات مقترنا بتحليل طرق تعلم الكلام في مظاهره المختلفة، بما في ذلك القراءة والكتابة. وهذا الاقتران هو الذي جعل Freud يشتغل على «الخطاطة النفسية للكلمة المُتَمَثّلَة » التالية:

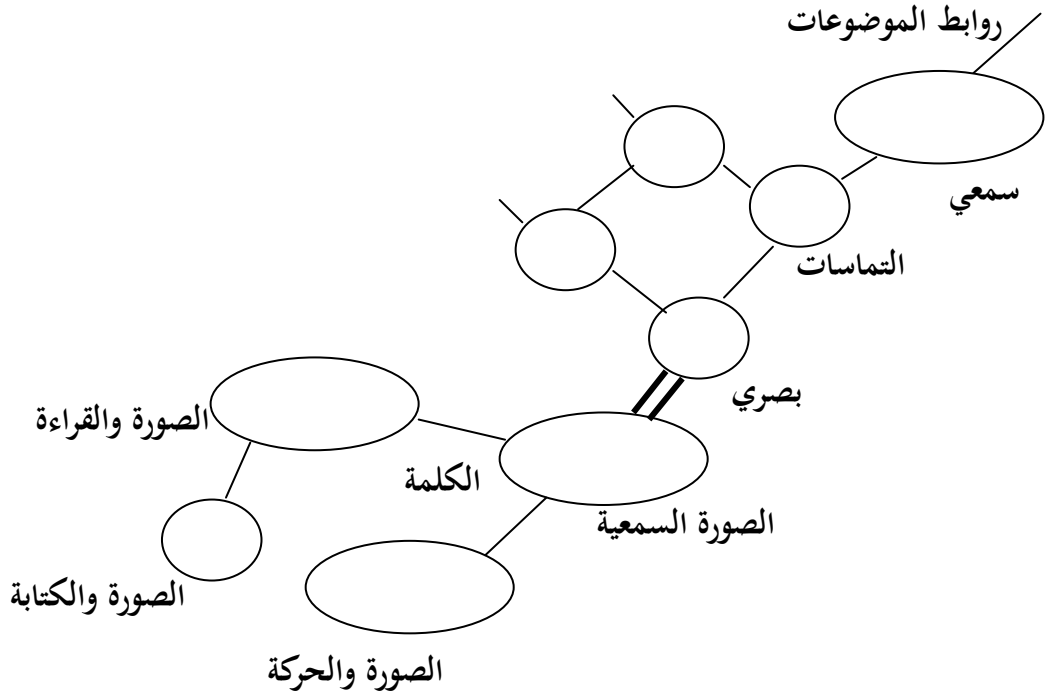

الخطاطة النفسية للكلمة المتمثلة

(أورد في: Revuz, Doury, Rebultouri, 2003)

وقد توصل Freud, (1891)، إلى النتيجة التالية: تعتبر الكلمة إذن تمثلا يتميز بالتعقيد المركب من صور مشار إليها في كلمة تتناسب مع سيرورة ترابطية معقدة حيث تدخل العناصر البصرية والسمعية والحسية الحركية الموصوفة والمسرودة في علاقة مع بعضها البعض. وفي نفس السياق، يرى Freud, (1900) أن المقارنة تتضح أكثر بين مآل الكلمات في الحلم عندما نقوم بربطها بتصرفات الأطفال اتجاه العصابيين ففي هذه الحالة «تشبه تشكّلات الكلمات في الحلم إلى حد كبير تشكلات الكلمات في البارانويا. ونجد في موضع آخر ما يناظرها في الهستيريا والهواجس. ويعامل الأطفال أحيانا الكلمات باعتبارها أشياءً وتبرز أهمية الكلمات بوضوح في ارتباطها بالمعادلة المرجعية المشتركة بينها وبين الكلمات المُتمثّلة. وعلى هذا الأساس، فإن "سيرورة التكثيف تصبح سريعة الانفعال والتأثر عندما تتحقق بفضل الكلمات والأسماء. وفي هذه الحالة تعامل الكلمات عادة في الحلم باعتبارها أشياءَ إنها ذوات لذات التركيبات مثلها مثل تمثلات الأشياء. ولذا ينتهي مآل هذه

الأحلام ليتأسّس عبر ابتكار كلمات كوميدية وغريبة، وبصيغة أخرى: الحلم ذاته –وليس حلم الأطفال بصفة خاصة –هو الذي يعامل الكلمات بهذه الطريقة،» إنها أقرب إلى موضوعات التأليفات ذاتها منها إلى التمثلات الخاصة بهذه الموضوعات.

في نصوص أخرى يقارن Freud, (1915 ;1988) الحلم – إسنادا إلى هذه المعاملة الخاصة للكلمات – بالإنتاجات الأخرى للاشعور، ففي مرض الانفصام schizophrénie «تخضع الكلمات للقضية نفسها (الأفكار المخفية للحلم) التي تصنع صور الحلم» والتي أطلق عليها اسم السيرورة النفسية الأولية . إنها مكثفة، وتعمل الواحدة منها على تحويل استثمارتها إلى الأخرى عن طريق النقل دون فضلة. ويمكن للقضية أن تكون أبعد من أن تنجز في كلمة واحدة، إنها مؤهلة لأداء هذه المهمة بحكم علاقاتها المتعددة، وقدرتها على التكفل بتعويض عضو بآخر داخل سلسلة طويلة من الأفكار. وهكذا في مرض الانفصام مثله مثل الحلم تخضع « الكلمة » للعمليتين الأساسيتين: التكثيف والنقل اللذين يؤثران عادة في « الأشياء ». ويجد الاشتغال اللساني للشعور نفسه حبيس محدودية الإكراهات أو الإرغامات المزدوجة للدال والمدلول، إنها تَأخذُ تحت تأثير « السيرورة الأولية » المميزة للاشعور وضْعَ الحد المتعذر بلوغه في اشتغال « الشعور » داخل اللغة، والمتمثل في فرضية القول بالتعويض الدلالي « داخل سلسلة طويلة من الأفكار» . والحالة هذه فإن هذا الوضع هو بالضبط الذي لاحظه Freud في دراسته لكلمة AUTODIDASKER في الحلم وأجهزتها. إنه بوضوح يختلف اختلافا جذريا عن الوضع الذي تتوفر عليه في اللغة.

– **حلم Freud: AUTODIDASKER** يتواجد هذا الحلم الذي سأقترحه عليكم في هذه الدراسة في الفصل الخامس من كتاب تفسير الأحلام، الذي يحمل عنوان AUTODIDASKER. يقول Freud, (1990): هذا الحلم يتركب من جزأين منفصلين تمام الانفصال: يحمل في الجزء الأول منه كلمة AUTODIDASKER. وأما الجزء الثاني

فكان يعيد – إعادة أمينة– تخييلا قصيرا، لا ضرر فيه، طاف بذهني (بذهن Freud) منذ عدة أيام.

في بقية الحلم، تم التعامل مع كلمة AUTODIDASKER باعتبارها لغة واصفة métalinguistique أو توليدا لفظيا néologisme، على أساس أنها كلمة مبتكرة من قبل Freud ، من حيث لم تكن مستعملة في اللغة الألمانية. هذه الكلمة، مثلها مثل أنواع أخرى من الكلمات، يستحسن الاستشهاد بها ودراستها وتحليل تجلياتها وأبعادها النفسية باعتبارها ذاتيّة الدّلالة والإحالة، بمعنى آخر، إفساح المجال أمام تعْليقات وتلْوِيحات اللسانيات الواصفة تمثل الفروق الدقيقة جدا في الطبقات اللسانية الواصفة أو الطبقات السيميائية الواصفة داخل الحلم عنصر تشويق وترغيب يمكن، بحق، البرهنة على صلاحيته للممارسة الحُلُمية في كل أوضاعها، فهو بحسب Danon–Boileau « سرد حلم ليس حلما »، ويصبح الأمر أكثر إمتاعا وتشويقا إذا تعاملنا معه باعتباره نتاجَ عملية لسانية واصفة للشروحات الدورية في تفسير الأحلام حول كلمات الحلم (أورد في: Revuz, Doury, Rebultouri, 2003).

و حسب Freud, (1900) فإنه لا يمكن في لمحة خاطفة إدراك المميزات التي ينفرد بها السرد عن الحلم باعتباره « هو في ذاته لحظة وقوعه في الحلم »، على اعتبار أن السرد يمتلك مميِّزات تكشف عن استحالة الفصل بينه وبين الحلم. ولا يمكن في لمحة خاطفة إدراك المميزات التي ينفرد بها السرد عن الحلم باعتباره « هو في ذاته لحظة وقوعه في الحلم » على اعتبار أن السرد يمتلك مميِّزات تكشف عن استحالة الفصل بينه وبين الحلم (أورد في: Revuz, Doury, Rebultouri, 2003).

وقد استخدم Freud, (1917) كلمة AUTODIDASKER لتجسيد تبعية يمكن تفسيرها بالسيرورة الأولية. لقد أظهر التحليل في مجال علم النفس وبصيغة أخرى أكثر دقة العرض الشامل لعناصر مجموع الأحلام مثل حلم AUTODIDASKER ، « أنها هي ذاتها نتاج الإجراءات الخاصة بالنقل والتكثيف.

لننظر الآن في كلمة AUTODIDASKER ، إنه من السهل حسب Freud, (1900) أن نقسمها إلى « Autor »، و« Autodidact» ، و« Lasker »، وهو اسم يرتبط في الذهن باسم « Lasalle» ، وهذا يفسر جزءاً من التوليد اللفظي لـ AUTODIDASKE ويتضمن كل هذا اللعب بالكلمات، كما يقول Freud، معنى آخرا: إنها تمثل رغبة أخي في رؤية عائلته سعيدة.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن، هو التالي: هل كلمة AUTODIDASKER دال ؟ من باب أولى النظر إليه باعتباره حزمة من الأصوات والحروف غير الخاضعة للإكراهات الخطية وإكراهات القيمة التمييزية للوحدات. فمن أجل قراءة Autor في AUTODIDASKER يجب القيام بعملية إقتطاع / فصل في المادة الحرفية والصوتية للكلمة. يعتمد Michel Arrivé على وجه التقريب الطريقة السوسورية القائمة على اقتطاع وفصل ما بين أحرف أبيات لوكريس من أجل قراءة اسم « anagrammatisé » *لأفروديت* Aphrodite. تحيلنا العناصر الأولية لهذه القراءة على « الاسم الشخصي لـ Lasker المكتشَف والمستكشِف في AUTODIDASKER الذي يعدّ هو ذاته نتاج إعادة ترتيب أحرف الكلمة الذي أسهم في تشكيل اسم شخصي آخر هو اسم ألاكس Alex وهو أخ آخر للحالم، وينتج عن تقديم اسم Zola بصورة معكوسة اسم Aloz ، الذي يدخل بدوره عبر إعادة ترتيب أحرف الكلمة في علاقة مع Alex. وأفضل مما سبق أو أسوأ، من أجل إنجاح مفخرة قراءة Lasker وبعده Lassalle. لم يتردد في Lassalle من إضافة حرف – L– والمقطع اللفظي salle إلى كلمة AUTODIDASKER، وهما إضافتان ليستا من نتاج الكلمة في الحلم في صيغتها المادية الصافية ».

تضعنا هذه الطريقة في قراءة الكلمة أمام إشكالية الإمساك بدلالة كلمة AUTODIDASKER. لا تشكل خصائصها الخطية والصوتية حافزا حقيقيا للتواصل، وهي غير كافية لاعتمادها كأصل لتحديد دلالتها. فالكلمة لا تنفك عن التوالد أثناء التلفظ الحلمي والترابطات المُتموضِعة داخله، بفعل العدد المتزايد من الكلمات التي يمكن التلفظ بها، وعلى

وجه التحديد علاقاتها الدلالية غير القابلة للعد، بالإضافة إلى «أنه لا يمكن الاحتفاظ بها من قبل إكراهات الدلالة» فكل واحد من هذه العناصر يمكنه أن يأخذ على عاتقه سلسلة من الإحالات الموسومة في ظاهرها بطابع اللاتجانس (أورد في: Revuz, Doury, Rebultouri, 2003).

يرى Freud, (1900) يمكن للعلاقة القائمة بين الكلمات أن تنتج موضوعات تهدف إلى استقبال ما تخلقه كلمات التمثل لا ما يقدمه المدرك البصري، « والإشكال الأساس هنا هو في مفهوم سيميائيةٍ تجد تعليلها باحتشام لدى فريد في الإحالة المرجعية وليس في سيميائية الدلالة، ولذلك فنحن لا نتعجب من ملاحظة كثرة الأسماء الشخصية التي تسند إلى AUTODIDASKER والأسماء الحلمية الأخرى. ويكمن تفسير اشتغال هذه العلاقة في كون العلاقة بين الاسم الشخصي ومرجعه هي علاقة تشتمل علي بعض الاستثناءات التي قاربت الكلمة باعتبارها مدلولا. ومن هنا فالمفارقة سمة مميزة لـ AUTODIDASKER وهي ، على كل حال، كلمة يتعذّر تحديدها باعتبارها كذلك إنها ليست علامة بالمعنى اللساني للمفهوم، ولا يمكنها بأية صفة وبأية طريقة أن تُعيّن بمفاهيم العلاقة بين الدال والمدلول، وبما أنها ليست علامة فإنها لا يمكن أن تكون موضع معالجة ذاتية الدلالة وذاتية الإحالة. فالأسماء تبدو « وكأنها عولجت في سيرورتها باعتبارها أسماءً متجلية عبر اقتراح نرغب في تحويله إلى لغز رسم رمزي.

ويتجسد الرسم الرمزي وهو الموضوع المتداول بكثرة في التفكير الفرويدي – باعتباره الإتيمولوجيا ذاتها للمفهوم الذي يستدعيه تحويل عناصر الكلمة إلى أشياء كثيرة ومتعددة ويعطيها أبعادا يمكن إدراجها ضمن سيرورة توليدية تشتغل من خلالها مختلف الأسماء باعتبارها علامات تملك وجودا أيديولوجيا متراكما يمنح شكل الكلمة ذاتها إمكانية اكتساب دلالات مختلفة ومتنوعة، وتتوالى إذن العناصر التي تشكل الكلمة في الحلم بطريقة يستحسن عدم إدخالها في الحسبان في اللسانيات، لأنه لا تبعث الانطباع بكونها ذات فائدة ترجى من وضوحها. بيد أنها على العكس من ذلك يمكنها بعد تهيئتها أن تكون الحجر الأساس في أي تعريف لكل تفكير نافع ومفيد حول الكلمات اللسانية. ففي مجال متناهي الدقة والخصوصية

مثل مجال البحث حول الجناسات التصحيفية تفرض علينا الميزة الخاصة بالقانون الأساسي للكلمة البشرية بصفة عامة إمكانية طرح سؤال« التعاقب / التسلسل واللاتعاقب/ اللاتسلسل، وهل يمكننا ابتداء تعيين TAE ب ta + te وبمعنى آخر هل يمكن دعوة القارئ إلى تحديدها ليس باعتبارها تجاورا داخل التعاقب، ولكن باعتبارها وسيلة لانطباعات سمعية خارج الزمن؟ وما تتضمنه عناصرها خارج النظام داخل الزمن ؟ وخارج النظام الخطي الذي يمكن ملاحظته إذا قمت بتعيين TAE من خلال TA–AE أو TA–E، ولكنها لا تتوفر على هذا التحديد إذا قمت بتعيينها من خلال ta + te مدمجة خارج الزمن وكأن الأمر يشبه إمكانية قيامي بذلك بالتزامن للونين مختلفين؟ (أورد في: Starobinski, 1971).

إن الأمر يتعلق، حسب Freud, (1917)، بتحويل الكلمة إلى شيء يتم إخضاعه إلى السيرورة الأولية ، هاهنا تتوقف الكلمة التجريبية أن تكون كلمة بالمعنى العادي للمفهوم. إن الكلمات التي تتلاقى في الحلم وتتشابك لا تأتي من اللاوعي أنها تأتي مباشرة من « فضلات اليوم » : في محتوى الحلم الكلمات والتعابير ليست تشكّلات جديدة ، ولكنها تشكلات تعمل على استعادة كلمات اليوم السابق عن الحلم (أو كل الانطباعات الحديثة والغضة الأخرى ، وأيضا انطلاقا من الأشياء المقروءة) (الإضافات النفسية الواصفة / ميتاسيكولوجيا métapsychologique لمذهب الحلم.

–اللغة الواصفة وحدودها: يتخذ Freud وجهة نظر سيميائية عندما يتعلق الأمر بالوضع اللغوي للحلم « ولكنه يبتعد عنها تماما عندما تتعلق القضية بتمييز وفصل الطبقات المتراتبة للحلم – الموضوع ومختلف الطبقات المتراكبة لشروح اللسانيات الواصفة métalinguistiques والسيميائيات الواصفة métasémiotiques حول هذا الموضوع. فها هنا نوع من التفرد والتمايز على صعيد « الوضع اللغوي للحلم » من مجال تعبيري إلى آخر، وهو أمر يمكن تبيّنه بسهولة في مرحلة أولى، ولكنه يغدو بعد ذلك أكثر تعقيدا. ويمكن رؤية هذه التعقيدات المتزايدة بوضوح. فالحلم كتابة، بمعنى موضوع سيميائي. ولكنها كتابة من نوع يمتلك، وبحق، مميزات ينفرد بها. إنها تضع على نفس المخطط عناصر وضعٍ تختلف تمام الاختلاف، فمن جهة كميات المدلولات القابلة للرصد والحساب على مستوى الأرقام والحروف، ومن جهة ثانية العمليات المنجزة لهذه الكميات. إنها لست سوى نوع من

المقارنة. وفيما يخصني يمكنني تأويلها عبر اعتماد الأرقام الحروف باعتبارها عناصر اللغة– الموضوع والعلامات مثل الذي + و– لعمليا اللسانيات الواصفة المنجزة على هذه الموضوعات (أورد في: Revuz, Doury, Rebultouri, 2003).

وتبرز خصوصية الحلم وتميزه حسب Freud, (1917) باعتباره كتابة تتجه إلى اعتماد الواحدة من هذه العناصر باعتبارها الأخرى، عبر المزج اللعبي والعشوائي بين مكونات العنصرين.

يبدو الأمر واضحا، لا يوجد تناقض بين غياب الكلمات داخل اللاشعور وحضورها في الحلم، « يمكن لفضلات الحياة اليومية – الواعية – أن تعتبر أصلا شفويا (« الكلمات ») أو أصلا مكتوبا (« الأشياء المكتوبة ») ، إنها تدخل في تشكّل الحلم لصالح « تخفيض الرقابة بين اللاشعور وما قبل الشعور.

وهو الأمر الذي يفسر رفض Freud, (1985) اللجوء إلى إخضاع اللاوعي للغة الواصفة métalangage. فمن المعلوم أن القراءة لِلّغة الواصفة ليست غريبة على التأويل الفرويدي أحادي الجانب للإنكار négation. يمكننا التمثيل على ذلك بالمثال الذي قدمه في بداية مقالته المنشورة سنة 1925 والموسومة بـ « الإنكار » « la négation »، جاء فيه : « أنت تسأل عن الشخص الذي يمكن أن يكون في الحلم. أمي، ليست هي.» ، ويعلق Freud على هذا السؤال بقوله « يحدث أن نتمكن من الحصول بطريقة ملائمة ومريحة جدا على العناصر الأساسية الكفيلة بإيضاح المكبوت اللاشعوري: ما الذي يمكنك الاحتفاظ به باعتباره الأمر الأكثر استبعادا للحدوث في مثل هذه الوضعية؟ ما هو في رأيك الأكثر بعدا عنك؟ إذا حدث ووقع المريض في فخ تسمية ما يمكن أن يعد الأقل ارتباطا بما يعتقد في صحته، والانقياد، على وجه التقريب، إلى تحويله إلى شيء يمكن تصديقه.

يمكننا أن نستخلص من هذه المحاورة أحادية الجانب مجموعة من الملاحظات الخاصة بالفعل الانكاري المتعلق بالقيمة الترابطية والتلازمية للوحدات الدلالية الصغيرة والدقيقة للحلم. إنها تظهر في مستوى الحلم باعتبارها سلسلة من الوقائع التي تترك حيزا لحضور حسب Daniel Feltin « دلالة تحسينية ميالة إلى الكمال ينقصها فعل أكثر كثافة

من تلك التي يوفرها الفعل البسيط. مثل فعل أجاز / خوّل الذي تتحقق كثافته في فعل ذهب. وبما أن فعل neinen (الذي يعد ترجمةً لفعل nier في الفرنسية) غير موجود في اللغة الألمانية، فإن ملاحظة بسيطة في غاية الأهمية ينبغي إضافتها إلى هذه القيم المترابطة والمتلازمة في كتاب النحو الألماني لـ Jean–Philippe Fourquet. ويمكننا بواسطة الفعل القيام « بصياغة مباشرة لاسم موصوف، ووصف، والظروف الخاصة بأفعال العدول التي تجنح إلى التحويل ». وهكذا، ومن حسن الحظ يوجد فعلاً تحويلٌ، يمتلك تقريبا « القيمة نفسها التي تحظى بها الاستعارة، شيء ما من الحالة الأولية تم الاحتفاظ في الحالة النهائية ، وبالتالي الدفع بفعل الإنكار في اتجاه المحافظة على التضامن بين الحذف والإبراز وبين الإنكار والإثبات، من أجل إضافة شيء جديد» على أساس الفرضية الإبستمولوجية للغة الواصفة métalangage، وفرضية عدم إمكانية وجود نسق للسيميائية الواصفة مُخْتلِف عن نسق السيميائية – الموضوع، (أورد في: Feltin, 2012). مما أمكن Lacan, (1966) ملامسة تصوره الخاص لمسلمة « لا وجود للغة واصفة » .

وقد غدا إلحاح Lacan, (1970) على عدم إمكان وجود لغة واصفة سمة هامة في ملامسة سجلات العيادة باعتبارها خطابات مُنتجة من قبل اللاشعور. إن « طلب الاستشفاء لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار لغة خاصة (التي نطلق عليها اسم : الايجابية)، حتى لو توخينا المراهنة على ترجمتها، فإنها لا تشكل، حسب صيغتي النموذجية، ضمانة على « لا وجود للغة واصفة ». إن الأثر الناتج عن اللغة ليس إلا بلَّوْر لساني. وليست كونيتها وعالميتها، سوى طوبولوجيا topologie تم العثور عليها ويعمل الخطاب على خلخلتها وتحريكها » وهذا ما يدعو إلى التساؤل عن جدوى القول بعدم وجود لغة واصفة؟ إن الجواب عن هذا التساؤل يمر ابتداء، بحسب Claire Nioche, (2012) ، عبر تحديد علاقة المحلِّل بالمحلَّل، « وهي علاقة لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تبعد المحلِّل عن عناصر الكلام المحلَّلة من أجل إتخاذ موقف يرفعه إلى ما فوق التحليق الحلمي وخارجانيته. إنه مبدأ باطني لكلامٍ يعمل على إسناد كل استشفاء إلى « لغة لها خصائصها وصفاتها الذاتيـة المميزة». ومن خلاله « يصبح بالإمكان أيضا القول بعدم وجود لغة واصفة.

يتخلّى هذا الاقتراح الأصيل جدّاً عن اللغة الواصفة باعتبارها وسيلة من وسائل العلاج النفسي، ليقتبس أدوات من النظرية اللاكانية théorie lacanienne في اللاشعور. وهو الأمر الذي يدعونا إلى التساؤل عن مبرراتها ومسوغاتها التي تسوقها في سياق الطب العقلي والتحليل النفسي وكل الأشكال العلاجية الأخرى؟ إن البحث عن جواب لهذا التساؤل يجب أن يبدأ، كما يرى Arrivé, Pichon & Lacan, (1989) من النتائج المترتبة عن ما تطرحه طريقة صياغتها وأساس تشكّلها والأهداف المرغوب في الوصول إليها، « فإذا كان اللسانيون يعترفون بوجود لغة واصفة، فإن النفسانيين، في المقابل يعارضون وجود هذه اللغة. قد تكون اللغات موضوع الدراسة هي الحاسمة في هذا النوع من الاختلاف، بحكم أن كل واحدة منهما تُرد إلى بنية تختلف اختلافا جذريا عن بنية الأخرى. وكنتيجة لذلك، تغدو فرضية اللاشعور المبنين باعتباره لغة غير قابلة للفهم بدقة واتقان » .

فإذا كان اللاشعور يتحدد في منطلقاته الإوالية باعتبار أساسَه عدم وجود لغة واصفة، فكيف يمكن الحديث إذن عن لغتين مبنينتين بنفس الطريقة، واحدة منهما تجيز اللغة الواصفة والأخرى تنفيها؟.

إن الأطروحة التي يتبناها Lacan, (1968) يمكن صياغتها بطريقة أخرى ، اقتراح بديلٍ انطلاقا من نفي « وجود لغة واصفة قابلة للتفكيك عبر نفي وجود آخر من آخر». إن ما يهم في كليهما هو التنصيص على أنه لا يمكن لأي بنية أن تنجز أية رؤية حُلُمية دون رفض هذا المتعالي، وهذا المتعالي هو الموجود ما فوق التحليق الحلمي. ويمكن تبسيط هذه الصيغة لتصير مفهومة، إنها « تسمح بتأكيد أنه لا يوجد آخر من آخر، أو ما سبق أن أثبتناه أنه لا وجود للغة واصفة.

-الحقيقة الناقصة أو المحرفة: يقترح Bousseyroux, (2006) أن نعيد تشكيل البنية الدلالية لنص الحلم كما فعل Lacan على امتداد ندوته الموسومة بـ « مِن آخر إلى آخر » ما هي هذه البنية؟ إنها الموضوع أ. وفي نهاية القصة، إذا كان الآخر على دراية بهذا الموضوع، فهو ليس الذات. إنه الموضوع. الموضوع أ، هذا هو الذي يولد البنية المعرفية المفتوحة. فالذات sujet الراغبة هي وحدها التي تشتغل باللغة وهي وحدها التي تسمح

بتأكيد أنه « لا وجود للغة واصفة »، وما من لغة يمكنها « أن تقول الحقيقة على الحقيقة »، وهو أمر يمكن أن يفهم على أنه افتراض « القول بنقصان الادعاء الخاطئ والمنطقي الذين يؤسسان اللغة الواصفة نجد هاهنا التبرير النظري للممارسة التطبيقية التي تخص اللعب بكلمات التجانس الصوتي في الخطاب اللاكاني، ومن هنا يصبح كل من اللاشعور المبنين باعتباره لغة، واللغة التي يهيمن عليها التجانس الصوتي، علاوة على افتراض عدم وجود لغة واصفة، الوسيلة الوحيدة للقول أن اللاشعور هو أداة لتطويع كل التجانسات الصوتية للغة « وهذا يعني ببساطة، هذا كل ما يمكن قوله عن الحقيقة إنها الحقيقة النهائية والوحيدة التي تمكننا من تبيّن أنه لا جود للغة واصفة(فعل إثبات من أجل موضعتها في أفقهي المنطقي– الوضعي)، وأنه لا وجود للغة تقول الحقيقة على الحقيقة لأن الحقيقة تتأسس على ما نقوله فعلا، وهي لا تملك وسيلة أخرى لفعله » (أورد في: Lacan, 1966).

تؤسس فكرة لا وجود للغة الوصفة، بالنسبة لـ Lacan ، شرط إمكانية قول الحقيقة، إن القول بعدم وجود لغة واصفة معناه القول بعدم وحود « للصورنة – نقل للغة الشارحة المتعلقة بالوصف إلى اللغة الصورية– سواء على المستوى المنطقي أو على مستوى البنية الدالة التي أحاول – الكلام لـ Lacan – تجليتها على مستوى مستقل. لا توجد لغة واصفة بالمعنى الذي يُقصد منها مثلا ترييض mathématisation كامل للظاهرة اللغوية، ويعود هذا بالضبط إلى عدم توفر وسائل شكلنة أبعد مما هو معطى باعتباره بنية أولية للغة. وهذه الشكلنة كيفما كانت طبيعتها ليست لازمة وحسب بل ضرورية أيضا»(أورد في: Lacan, 19698). وبالفعل، فإن الحقيقة لا توجد إلا بالكلام والتكلم وبالتالي فهي غير موجودة إلا في حضن الكلام، مع نفي إمكانية وجود ضمانة إضافية على أن الخروج من الكلام سيرسخ فكرة وجود حقيقة فوق الحقيقة، ومن هذا المنظور فإن الاقتراح الذي قدمه لـ Lacan والمتمثل في عدم وجود لغة واصفة يعادل ذلك الذي يؤدي إلى تدعيم فكرة أنه لا يوجد آخر من آخر.

وإذا سلمنا بأن هذه الضمانة ستزيل كل أشكال الالتباس والشك باعتبارها ممارسة ممكنة لكل سيرورة لاشعورية، هنا تبرز المفارقة. فبالإضافة إلى أنه لا يمكن امتلاك " حقيقة " تامة كلية ونهائية، فإنها تتسم بقابلية التواري والاختفاء. الرغبة في أن تكون الحقيقة واحدة ومطلقة ولكنها لن تكون كذلك ضمن سياق يستند إلى أنه لا وجود للحقيقة إلا في اللغة، هذا ما يمكن أن توحي به على الأقل، « إن الحقيقة هي مجرد حقيقة، فلا يمكن للأولى أن تكون أساسا لضمانة فعلية، كما لا يمكن أن نتبين من خلالها أي شيء، ولا شيء يبقى بعد ذلك سوى القدرة على القول، على الكلام، باعتبارها الركيزة الأساس التي تقوم عليها الحقيقة، ولا أحد يمكنه الإدلاء بشهادته لصالحها. إنها الشاهدة المنكفئة على نفسها، إنها تدلي بشهادتها انطلاقا من نفسها وذاتها، وليس انطلاقا من خارجها. وهذا لا يعنى أن الكلام منغلق ومنطوي على ذاته، إنه بالأحرى منفتح على الداخل، إنه هو ذاته يمتلك انفتاحه الخاص انطلاقا من إنه يقول الحقيقة »(أورد في: Causse, 2015).

غير أننا لكي نتكلم يجب أن يتم التعرف علينا باعتبارنا ذاتا تشعر بالنقصان في كينونتها فلا وجود، في الآخر، لأي دال قادر على الإجابة عن من أنا ومن أكون؟ هكذا يمكن للذات أن تكون جامدة أو ثابتة في ظل الدال. إنها في مواضع أخرى دائمة التحرك في سلسلة دالة، لا يمكن ضمنها، أبداً، إقصاء بنيتها المقولية، « إنها هي ذاتها نتاج أثر دال يمتلك من دون شك، قدرة التحول إلى مدلول، ولكنها، مع ذلك، لا يمكن أن تكون علامة عن أي شيء حينئذ لا وجود ل « بينذاتيّة Intersubjectivité» (تواصل أو تفاعل ذاتي)، وهذا يسير في اتجاه يتعارض مع اللسانيات التي تعتمد في انسجامها على تخيّل وتوهم وجود تواصل بين ذاوات متماثلة. إن الأنا المتلفظة المختلفة عن أنا الملفوظ يجري في قولها على ما لا تعرفه الذات » (أورد في: Vinciguerra, Lucan, 2011).

لا يمكننا إذن منع أنفسنا من التفكير في المفهوم اللاكاني للغة المحدد في وقت واحد باعتباره مصدر « تكامل المبهمات »، وباعتباره نموذج بنية لاشعور « مُبنْيَنٍ باعتباره لغةً يسْكُنها ويُثبّت كلّ ما يمكن أن يُميّز الواحد عن غيره. لغة من بين أشياء أخرى ليست أكثر من مصدر تكامل المبهمات التي يتركها تاريخُه تَسْتمِرُّ ويكتب لها الدوام (أورد في: Lacan, 2001). ويمكن أن نذهب أبعد من ذلك، لا وجود للغة في ذاتها إلا في اللسانيات

الواصفة، فنحن لا نستطيع أن نتكلم عن لغة إلا ضمن لغة أخرى. قلت في وقت سابق – الكلام لـPierre Attal – لا جو للغة الواصفة. هناك حالة جنينية للغة الواصفة، إننا ننزلق بدون توقف من الإثبات إلى الإكراهات وذلك لسبب وحيد هو أنني لا أعرف من اللغة سوى سلسلة من اللغات القابلة للتجسيد والتعبير بواسطتها تعبيرا واضحا.

تعتبر اللغات المجسّدة التجليات الحسية للغة « التي تمنحنا المعطيات الموضوعية الوحيدة التي يمكن أن تستند إليها دراسة ما والباقي يمتلك ماهية لغة واصفة قابلة للانزلاق والتزحلق ». وهكذا خارج التجليات الواضحة للكلام وتجسيدات اللغة، لا يوجد سوى تعليقات اللسانيات الواصفة التي لا يمكن التعامل معها سوى باعتبارها تجليات جديدة مكتوبة بهذه اللغة على وجه الخصوص. وقتئذ، فإن فكرة اللغة الواصفة المتموضعة خارج اللغة أو الكلام أو فوقهما، يتم اختزالها في شكل استعارة أو قيد أسلوبي (أورد في: Attal, 1993).

خاتمة: ثراء وتعقيدات مقولة « لا وجود للغة الواصفة »

النتيجة الأساسية التي تفرض نفسها هنا هي التالية: من المؤكد تماما أنه لا يجب نسيان أنه لا وجود للغة الواصفة، حتى عندما نقول شيئاً مثل هذا، فنحن نقول شيئا يجب أن يكون جاهزا للانفلات، شيئا لا يكون سهل الاستعمال، ليس لأنه قابل للنطق بوضوح بل لأنه سيكون تبعا لذلك قابلا للتأويل، ولهذا السبب أنا لا أنطق بوضوح ولكنني أسعى إلى تجسيد ذاتي من خلال الكتابة. إن ما التمسُه بالكتابة شيء مختلف تماما عما ألتمسُه بالنطق بالوضوح الذي يمنحه الصوت. يجب أن نضع موضع شك التوهم الواقعي الذي يأخذ ما نقوله على ما هو عليه. يمكننا باستمرار استعمال المسند ذات اللسانيات الواصفة، دون أن نجد أنفسنا ملزمين بجعله في وضع يقوم مقام الذات الموضوعية أو اللغة الواصفة. وعندما يقول لـ Lacan أنه لا وجود للغة واصفة، فانه يدافع عن أطروحة تقود إلى القول أن الهلالين مزدوجين هما ابتكار تقني ينتمي على نظام الكتابة، شيء ما تكلم بدقة وإتقان ولكنه لا يوجد في اللغة. بين إشارات الاستعمال وحقائقه، هناك دائما ما هو غير القابل للتمييز ، إنه الشيء الذي يقودني إلى الفكرة اللاكانية عن استحالة التمييز بين الاشارة والاستعمال – بين الحصان وكلمة حصان، المعزولة بطريقة سيئة بالهلالين المزدوجين المحيطين بها– هو

على ما يبدو النتيجة الملزمة للإنكار اللاكاني للغة الواصفة. والحالة هذه فإن الفكر اللاكاني يقدم نفسه باعتباره باحثا ينتمي إلى مدرسة التحليل النفسي بريادة Freud (أورد في: Revuz, Doury, Rebultouri, 2003).

قائمة المراجع:

1- Arrivé, M. (2003). Freud et l'autonymie,Textes réunis par : Jacqueline Authier-Revuz,Marianne Doury,Sandrine RebulTouré. Parler des mots. Le fait autonymique en discours., Presses Sorbonne Nouvelle ?.

2- Arrivé, M. (2003). Langage et inconscient chez freud : Représentations de mots et représentations de choses, ERES | « Cliniques méditerranéennes » no 68 | pages 7 à 21.

3- Arrivé, M. Pichon & Lacan. (1989). quelques lieux de rencontre, In: Histoire Épistémologie Langage. Tome 11, fascicule 2.

4- Attal, P. (1993). À propos de "II n'y a pas de métalangage, In: Linx, n°28. pp. 9-14.

5- Bousseyroux, M. (2006). L'AUTRE RAISON. SA RUSE ET LA MÉPRISE, ERES | « L'en-je lacanien». 1 no 6 | pages 89 à 104.

6- Causse, J-D. (2015). L'incomplétude de la vérité et la force du témoignage, Le témoignage Volume Université Laval. 71, numéro 1

7- Feltin ; D. (2012). négation et sujet de l'énonciation, ERES | « La revue lacanienne », N° 13 | pages 61 à 72.

8- Freud, S. (1917). ≪ Complement metapsychologique a la doctrine du reve ≫.OEuvres complètes XIII, PUF, 1988

9- Freud, S. (1891). Contribution à la conception des aphasies, PUF, 1983

10- Freud, S. (1915-1988 a) : « L'inconscient ». in OEuvres complètes, t. XIII, Paris, PUF.

11- Freud, S. (1900). L'interprétation des rêves. PUF, 1967

12- Lacan,J. (1966). Écrits, éditions du Seuil, deux volumes, Paris. 1966, réed. 1999.

13- Lacan,J. (1966). La science et la vérité, Écrits II. in : Lacan (J.). 1966.. Paris : Seuil

14- Lacan,J. (1981). Le Séminaire, livre III, Les Psychoses. Paris : Seuil.

15- Lacan,J. « L'étourdit », Autres écrits, in : Scilicet, 4. pp. 5-52

16- Lacan,J. (1985). « La négation », Résultats, idées, problèmes, II 1921-1938, P.U.F

17- Lacan,J. (1968), Résumé du séminaire « La logique du fantasme », annuaire 1967-1968

18- Lacan,J. (1970).Scilicet 2/3, Paris : Le Seuil. 1970.

19- Nioche, C. (2012). DE L'ÉCRITURE EN PSYCHANALYSE, ERES | « Cliniques méditerranéennes n° 86 | pages 123 à 139.

20- Starobinski, J. (1971). Les mots sous les mots. Les anagrammes de Ferdinand de Saussure, Paris, Gallimard.

21- Vinciguerra, R-P. LACAN. (2001). LA LINGUISTIQUE & LA LINGUISTERIE, L'École de la Cause freudienne | « La Cause freudienne ». N° 79 | pages 281 à 285.